

## مابعد أميركا: نقد الأطروحة الأميركية من خلال كتاب فريد زكريا

حسين پور أحمدی میبدي<sup>١</sup>، أمير عباسي خوشكار<sup>٢</sup>

### تمهيد

بعد الحرب الباردة وبشكل خاص بعد هجمات الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر عام ٢٠٠١م ظهر اتجاهان غالبان في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأميركية: الاتجاه الأول يقوم على رؤية القطب الواحد والهيمنة، وذهب إليه الجمهوريون بشكل رئيس، واستمر حتى آخر فترة رئاسة جورج دبليو بوش الابن، أما الاتجاه الثاني فيقوم على التعددية القطبية، وقد ظهر في فترة رئاسة باراك أوباما. يندرج كتاب «عالم مابعد أميركا» ضمن أدبيات الاتجاه الثاني، ومن هذه الناحية يعدُّ مصدرًا زاخرًا بالمعلومات والمشاهد القوية والواقعية عن العلاقات الدوليّة، والسياسة الخارجيّة للقوى العظمى والقوى الصاعدة، وبيان

---

١. باحث في العلاقات الدوليّة من جامعة طهران (كاتب مسؤول).

٢. باحث وأكاديمي، جامعة طهران.

- ترجمة: حسن علي مطر.

- عنوان المقال في أصله الفارسي: (نقدي بر كتاب جهان پساأمريکايي). وقد نشر في مجلة پژوهش نامه انتقادي متون وبرنامه هاي علوم انساني وپژوهشگاه علوم انساني ومطالعات فرهنگي، السنة الثامنة عشرة، العدد ٦، ص ٣٥-٥٥، شهر يور عام ١٣٩٧ هـ.ش.

النماذج التي تحكم السياسة الخارجية في الولايات المتحدة الأمريكية. يتعرّض كتاب «عالم مابعد أميركا» لمؤلّفه الأميركي من أصل هندي فريد زكريا<sup>١</sup> إلى خصائص التحوّلات في الساحة العالميّة على المستويات السياسيّة والاقتصاديّة بشكل رئيس. يرى المؤلّف أنّ ظهور القوى الاقتصاديّة متمثّلة بالصين والهند والبرازيل هو من المتغيّرات المهمّة في بنية النظام الدولي، ويضيق الخناق على الولايات المتحدة الأمريكيّة. فهذه القوى الصاعدة تسعى بالاستفادة من مصادرها وثرواتها الداخلية في التعاطي مع المحيط الخارجي ضمن تحقيق القوة الاقتصاديّة إلى تحقيق الامتيازات السياسيّة، ولا تنوي التغاضي عن حصتها من كعكة السلطة العالميّة. ويطلق زكريا على هذه الظاهرة الجديدة مصطلح «نهوض الآخرين». أمّا طريق الحل، كما يراه، فيكمن في إقبال الولايات المتحدة على التعددية القطبية، والقبول بالمحدوديات البنيويّة المفروضة عليها.

هذا الكتاب، كان في المصادر الإنكليزيّة عرضة للكثير من التعاريف والخلاصات والانتقادات، في مختلف المجالات والصحف، وفي ما يلي نشير إلى مصدرين اثنين؛ المصدر الأول: مقالتان قصيرتان عن كاتبين، هما: جفري بارلو<sup>٢</sup>، وإمّتياز باهاتي<sup>٣</sup>. حيث عمد بارلو في مقالته المقتضبة بعنوان «إطالة على كتاب عالم مابعد أميركا» إلى اختصار المحاور المهمة لموضوعات الكتاب

١. فريد زكريا كاتب ومحقّق وصحفي ومقدّم برامج هندي / أميركي يعمل في قناة الـ (CNN) الأمريكيّة. كتب في حقل العلاقات الدوليّة والسياسة الخارجيّة للولايات المتحدة الأمريكيّة، وصدر له حتى عام ٢٠١٦م خمسة كتب، هي: «الكفاح الأميركي»، و«من الثروة إلى السلطة»، و«مستقبل الحرية»، و«عالم مابعد أميركا»، و«دفاع عن المفاهيم الليبراليّة». كما صدرت ترجمة كتاب «عالم مابعد أميركا»، من قبل بسام شيحا، سنة ٢٠٠٩م، في ٢٤٨ صفحة ضمن سبعة فصول.

2. Barlow, "The Post-American World (Review)."

3. Bahatti. "The Post American World (Book Review)."

في إطار التحولات التقنية والاقتصادية والسياسية العالمية. أما باهاتي فاكتفى بذكر نقطتين: النقطة الأولى: أن فريد زكريا قد أخفق في عرض صورة دقيقة عن مسائل السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأميركية، ولا سيما في خصوص أزمة العراق بعد عام ٢٠٠٣م، حيث لا نجد لديه ما يقوله في هذا الشأن. النقطة الثانية: أنه لم يقدم بحثًا جادًا بشأن الأخطاء الأميركية السابقة. وهذا الضعف يتجلى للعيان في الحرب الفيتنامية، وفي الإخفاقات الأميركية في فترة الحرب الباردة بشكل أكبر، وبالتالي لا يوجد في هذا الكتاب حتى معلومة واحدة عن التعقيدات التي تحكم الاقتصاد العالمي.

انطلاقًا مما سلف، تسعى هذه المقالة لعرض خلاصة المحاور النظرية المهمة الحاكمة على كتاب «عالم مابعد أميركا»، بالإضافة إلى نقده وتقويمه. في القسم الأول سنقوم بتقديم خلاصة بالنقاط والادعاءات النظرية المذكورة فيه. وفي القسم الثاني سنرصد بحث الاتجاه الأصلي للكاتب ضمن سائر الاتجاهات الأخرى. وفي القسم الثالث سنستعرض بيان بعض النقاط ضمن إطار النقد الشكلي والمضموني للكتاب. مع الإشارة إلى أن الأسلوب المتبع في هذه المقالة هو أسلوب بياني وانتقادي، وفي ما يتعلق بجمع المعطيات والمصادر، تمت الاستفادة من الأسلوب الإسنادي والمكتبي.

### القسم الأول: خلاصة الكتاب

يتألف كتاب «عالم مابعد أميركا» من سبعة فصول.

- الفصل الأول تحت عنوان: «نهوض البقية»، وقد استهله فريد زكريا بالحديث عن ثلاثة متغيرات في بنية السلطة العالمية على مدى القرون الخمسة

المنصرمة<sup>١</sup>.

- في الفصل الثاني تحت عنوان: «الكأس التطوّف»، تناول بعض الأبحاث والمسائل بشأن التحوّل والانتقال من النظام القديم إلى النظام الجديد من خلال بروز المشاكل الاقتصادية والبيئية، وظهور القوى الاقتصادية الأخرى على المستويات الإقليمية والعالمية. والبحث الأول من هذا الفصل يخصّ التحوّل في منطقة الشرق الأوسط، حيث يعدّ ظهور الأصولية الإسلامية من أهمّ التحوّلات. بيد أن هذا التحوّل في بنية السلطة العالمية لم يؤدّ إلى انتقال السلطة<sup>٢</sup>. لقد تعرّضت بنية الاقتصاد العالمي نتيجة للتحوّلات والمتغيّرات في حقل تقنية المعلومات والاتصالات والسلطوية المتحيّنة للفرص من قبل بعض القوى السياسيّة، لتحوّل وتغيير جوهري. وقد استعرض المؤلّف هذه التحوّلات في الصفحة ٢٥ و٢٦ على النحو الآتي:

«إنّ الحركة الحرّة لثروة القوة الماليّة المحركة في هذه المرحلة الجديدة تمثّل ظاهرة حديثة نسبياً. وإلى جوار النقود التي تحظى بجريان حر، حدثت ثورة أخرى في حقل السياسات أيضاً: اتساع البنوك المركزيّة المستقلة والسيطرة على التضخّم. إن التضخّم المنفلت من أسوأ الآفات الاقتصادية التي يمكن أن تحيق بشعب ما. هذه الآفة تقضي على قيمة النقد، وعلى التوفير، وعلى رؤوس الأموال، وبالتالي تستأصل حتى فرص العمل، ولهذا تداعيات أسوأ حتى من الركود الاقتصادي»<sup>٣</sup>.

إنّ المناخ الاقتصادي لعالم مابعد الولايات الأميركيّة المتّحدة، يقوم على محور

١. زكريا، جهان پساأمريکايي، ٤.

٢. م. ن، ١٣-١٦.

٣. م. ن، ٢٧.

انبعاث سائر القوى الصاعدة وخروج الولايات المتحدة من محورية النظام والسلطة الاقتصادية والسياسية في العالم. وقد شرح زكريا تبلور هياكل السلطة السياسية الاقتصادية الأميركية على النحو الآتي:

«لقد أكد المتخصصون في العلوم السياسية على أن العالم الذي يشعر فيه الجميع بالقدرة، يمكن للدول أن تعمل فيه من خلال التجاوز الكامل للمحور الغربي على توثيق العلاقات في ما بينها. ومن الممكن في عالم مابعد أميركي ألا يبقى هناك محور في الأساس يمكن التماهي والتناغم معه... ربما كان توصيف القرن الحادي والعشرين للميلاد بالطرق المنقوطة وخارطة تخليق جديدة يتم تحديدها بشكل يومي هو الأنسب. لقد تغيرت مراكز الاهتمام، وأخذت البلدان تهتم أكثر من ذي قبل بالتقارب من بعضها، والتعويل على نهضتها، والتقليل من الاعتماد على الغرب والولايات المتحدة الأميركية»<sup>١</sup>.

الفصل الثالث «عالم غير غربي»، يرجع اعتبار تفوق الغرب إلى بداية استعمار الشرق والحفاظ على الإمكانيات الثقافية والاقتصادية والسياسية المهمة والبناء لأسس قوة الحضارة الغربية. إن القوى الصاعدة تسعى من خلال الانضمام إلى ساحة القوة العالمية إلى تسجيل بصمتها في الحداثة المصنعة غربياً. إن الحضور الثقافي والاقتصادي لقوى أميركا اللاتينية وآسيا يشكل تحدياً للتلاحم الغربي الحديث.

الفصل الرابع بعنوان «المتحدّي»، ظهور الصين والتعاطي الاقتصادي المسلم لهذا البلد بعد عام ١٩٨٠م مع الغرب. لقد تم تقويم تحوّل الاقتصاد السياسي والسياسة الخارجية للصين على أساس التحوّلات الثقافية والنخبوية الحاكمة

على هذا البلد. الصين بدورها مثل أي بلد غير غربي آخر قد أعدت من أجل ازدهارها في القرن الحادي والعشرين للميلاد مزيجها الثقافي الذي يشكل جزءاً منه جانباً شرقياً، والجزء الآخر جانباً غربياً<sup>١</sup>.

الفصل الخامس بعنوان: «الحليف»، يختص بالسياسة الخارجية للهند، والعناصر المؤثرة على ازدهارها الاقتصادي في العقود الأخيرة. وقد رصد زكريا اختلاف التنمية الاقتصادية بين الهند والصين في العناصر الآتية:

«هناك في الصين دولة مقتدرة تشرف على هذا الازدهار. لقد قامت بالنظر إلى حاجة البلاد البحتة ببناء مطارات جديدة، وطرق مواصلات عملاقة، ومحطات صناعية بديعة خلال بضعة أشهر... وأما ازدهار الهند، فلم يكن يتدخل من الدولة، وإنما رغماً عنها. فلم يكن هذا الازدهار من الأعلى إلى الأسفل، وإنما من الأسفل إلى الأعلى؛ ولذلك كان هذا الازدهار فوضوياً، وغير مدروس أو مبرمج إلى حد كبير. ويعدّ القطاع الخاص الواقعي، وحقوق الملكية، والعقود المنطقية، والمحاكم المستقلة، وحكم القانون، من المزايا الرئيسة لهذا البلد. إن القطاع الخاص في الهند يمثل العمود الفقري لازدهار وتنمية هذا البلد»<sup>٢</sup>.

في الفصل السادس الذي يحمل عنوان: «نفوذ أميركي»، تم تشبيه أفول الولايات المتحدة الأميركية بالإمبراطورية البريطانية في مبالغتها في التدخلات العسكرية، والانحدار في الحروب من طرف واحد مع الدول الضعيفة. كما تمت محاكمة قدراتها الصناعية والمالية في مختلف الحقول الاقتصادية.

«إن تقدم منطقة اليورو وانتعاشها بنسبة ٥ / ٦ في طريقه إلى تجاوز الولايات المتحدة الأميركية، وقد بلغ مجموع الأرباح المصرفية والتجارية لأوروبا في عام

١. م. ن، ١١٩.

٢. م. ن، ٤١.

٢٠٠٥م، ما مقداره ٩٨ مليار دولار تقريباً، ليوازي أرباح الولايات المتحدة الأميركية البالغة ١٠٩ مليار دولار»<sup>١</sup>.

في الفصل السابع والأخير وهو بعنوان: «الغاية الأميركية»، تمت الإشارة ضمن تبويب التحولات المتقدمة في الفصول السابقة إلى نقاط قوة الولايات المتحدة الأميركية وضعفها في التعاطي مع الواقع القائم<sup>٢</sup>.

وفي الصفحة رقم ٢٤١ من الكتاب اقترح المؤلف على واضعي السياسة الخارجية في الولايات المتحدة أن يضطلعوا بدورهم في لعب دور جديد في السياسة الدولية. وذكر بأحداث القرن التاسع عشر في أوروبا قائلاً:

«إن بإمكان هذا البلد [الولايات المتحدة الأميركية] أن يكون كما كانت عليه ألمانيا في نهاية القرن التاسع عشر للميلاد بمساعدة بسمارك، الواسطة الأمينة<sup>٣</sup> الأوروبية ذات العلاقات القريبة مع كل واحد من البلدان الرئيسة، والأقرب من الارتباط القائم بين تلك البلدان في ما بينها.

لقد كان هذا البلد يمثل مركز الثقل في النظام الأوروبي. إن لازم الواسطة العالمية لا يكمن في انخراط الدولة الأميركية فقط، بل وفي انخراط المجتمع الأميركي في هذا الشأن أيضاً... إن الدور الجديد يختلف عن الدور التقليدي للقوة العظمى بالكامل، فهو يستلزم الاستشارة والتعاون وحتى الوفاق.

إن قوة هذه الدولة تكمن في تعيين خطة العمل وبيان المسائل وبناء التحالفات. إن هذا ليس دوراً صادراً من الأعلى إلى الأسفل حيث تكون الولايات المتحدة هي من تقرّر، وتعمل على مجرد إبلاغ قرارها إلى العالم المدعّن (أو الصامت)،

١. م. ن، ٢١١.

٢. م. ن، ٢٣٧.

والدليل على ذلك أن تعيين خطة العمل وتنظيم التحالفات في عالم يكثُر فيه اللاعبون، يعدُّ من أهمِّ أشكال السلطة. إنَّ رئيس الهيئة الإداريَّة من خلال قدرته على توجيه وهداية مجموعة من المدراء المستقلِّين، يبقى محافظاً على إدارته المقتدرة<sup>١</sup>.

وفي الختام، قدّم زكريا ستّة مقترحات لتستفيد منها الولايات المتّحدة من الفرص المتوفّرة، والإدارة الأكثر تديباً للسياسة العالميَّة، والتقليل من أفولها، خلاصة هذه المقترحات هي وضع القواعد وأتباع الأسس الجاهزة والقائمة على التعدّديَّة بين الدول، فضلاً عن السلوك القائم على كسب المشروعيَّة الجماعيَّة، وعدم الخروج من الهياكل الحقوقيَّة والمنطقيَّة<sup>٢</sup>.

## القسم الثاني: موقع فريد زكريا في النظريّات الواقعيَّة والإجابات

### النظريَّة لما بعد الحرب الباردة

سنستعرض في هذا القسم وندرس الموقع النظري لفريد زكريا في البعدين؛ موقعه بين الواقعيين، وجوابه عن ضرورات السياسة الخارجية للولايات المتّحدة الأميركيَّة في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، وعلى الرغم من أوجه الشبه بين الواقعيين، يمكن مشاهدة بعض نقاط الاختلاف أيضاً. فزكريا يعدُّ واحداً من الواقعيِّين الذين يسعون إلى الجمع بين البنى الداخليَّة للسياسة الخارجيَّة وبنية النظام الدولي من جهة، وإلى الجمع بين الليبراليَّة والواقعيَّة من جهة أخرى، وقد عمد في نقد الواقعيَّة الجديدة إلى اتِّهام المفكرين في هذا التيار بتجاهل السياسات

١. م. ن، ٢٤٢.

٢. م. ن، ٢٤٣-٢٥٩.

الداخلية وتأثير العناصر الداخلية<sup>١</sup> على السياسة الخارجية، ومن ناحية أخرى اتهم الواقعيين الدفاعيين بتضخيم المصادر الداخلية بشكل متطرف ومبالغ به<sup>٢</sup>. ويعدُّ التركيز على العناصر النفسية والاتجاهات الإدراكية للزعماء السياسيين، من الخصائص الأخرى لزكريا التي تميّزه من سائر المفكرين الماديين الواقعيين، الأمر الذي أدى إلى تصنيفه ضمن المفكرين العقلانيين الواقعيين. وهناك أمثلة مشابهة لاقتراجه من الأبحاث المعرفية وإدراك الزعماء والقادة في تراث الواقعية. فقد تعرّض شولر<sup>٣</sup> في تحليل سلوك السياسة الخارجية للبلدان التي تدعو إلى التغيير إلى ظاهرة السلام الديمقراطي والاتجاهات العنيفة لبعض القادة الدكتاتوريين. وتوصّل ستيفن وولت<sup>٤</sup> في بحث تبلور التحالفات إلى مفهوم توازن التهديد من أجل فهم صناعة التحالفات بشكل أفضل<sup>٥</sup>. وعمد إلى تقويم إدراك الزعماء والقادة لتهديد الآخرين في اعتبار قدرات الدول الأخرى تهديدًا أو عدم اعتبارها كذلك بوصفه أمرًا بالغ الأهمية. كما ذهب وولفورث<sup>٦</sup> في رؤية مشابهة لفريد زكريا إلى اعتبار فهم القادة والزعماء للسلطة<sup>٧</sup> أهم من وجود السلطة الخام<sup>٨</sup> نفسها في اتجاه السياسة الخارجية للقوى العظمى.

إنّ الاهتمام بالبنى والمصادر الداخلية أمر لم يتمّ الخوض فيه عند تحليل بعض

---

1. Domestic

2. Legro and Andrew Moravcsik, "Is Anybody Still a Realist?", 24.

3. Schweller

4. Stephen Walt

5. Balance of Threat.

6. Wohlforth

7. Perception of Power

8. Raw Power

الواقعيين. من هنا، عمد فريد زكريا ضمن تقويمه الدقيق لمصادر وإمكانات الدول والحكومات في استثمار الفرص الداخلية إلى التدقيق العلمي في هذا النوع من التحليل على نحو بارز في وضع السياسات الخارجية للقوى العظمى<sup>١</sup>. لقد اهتم في تحليلاته للسياسة الخارجية للقوى العظمى بالهياكل الداخلية. أما الاهتمام بالتحويلات والمتغيرات التكنولوجية الجديدة في حقل الاقتصاد ومصادر الطاقة، من قبيل شركة شيل للغاز<sup>٢</sup>، والتركيز على مفهوم السلام الديمقراطي والمطالبة بالجمهوريات الليبرالية، فقد أضفت محتوى ليبرالياً على نظيراته<sup>٣</sup>. وهو قدّم في مقال له بعض المقترحات الاقتصادية من أجل إحياء الأحلام والطموحات الأميركية، هي:

١. الاتجاه من الاستهلاك إلى الاستثمار.

٢. أهمية التعلّم.

٣. الاهتمام بحقل السلامة.

٤. رفع الإنتاج والمستوى الكيفي للأعمال<sup>٤</sup>.

يعدُّ الافتقار إلى نظرية لبيان كيفية أداء الدولة في استخراج المصادر من صلب المجتمع، من أهم الانتقادات الواردة على الأعمال النظرية لفريد زكريا. أمّا في ما يتعلّق بحقل أبحاث دورة السلطة في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، والتأمل في السياسة الخارجية للولايات الأميركية المتّحدة في هذه المرحلة، فهناك طائفتان من الآراء.

١. مشيرزاده، تحول در نظريه هاي روابط بين الملل، ١٣١.

2. shale gas

3. Legro and Andrew Moravcsik, "Is Anybody Still a Realist?", 29.

4. Zakaria, "How to Restore the American Dream".

قبل الخوض في هذين الرأيين يجب القول إن لدراسة وبيان دورة السلطة بين القوى العظمى وتبلور القوى الصاعدة في هذه الدورة سابقة تمتد لعقود عدة، فوليام ماكنيل، وإدوارد جيون، وأوسفالد شينغلر، وبول كينيدي، وصاموئيل هنتنغتون، بالإضافة إلى أبرامو أورجانسكي هم من بين المفكرين الذين عمدوا إلى إنتاج الآثار العلميّة في حقل انتقال السلطة من الشرق إلى الغرب، وتبويب أقطاب القوة والسلطة بينهما. من ذلك على سبيل المثال أن بول كينيدي في كتابه الشهير «نشوء وسقوط القوى العظمى» يكرّس اهتمامه بالعوامل الداخلية، ولا سيّما تكاليف بسط السلطة العسكرية، وخفض السلطة الاقتصادية في انتقال السلطة على مدى القرون الخمسة المنصرمة<sup>٢</sup>. وقد قالت السيدة أليس أمسدن<sup>٣</sup> في بحثها الذي تركّز فيه على الدول الشرقية الصاعدة، إنّ التعاطي التقني، والبنية المالية الداخلية، ومن بينها المصارف والبورصة، مع الدولة، يؤثر في انتقال السلطة. وذهبت إلى الاعتقاد بأن هذا التعاطي قائم في البلدان الشرقية الصاعدة على نحو جيّد<sup>٤</sup>.

بعد انتهاء الحرب الباردة وبداية أفول الولايات المتّحدة الأميركيّة، نكون أمام سؤالين: إلى متى ستبقى الأحادية القطبية في العالم؟ وهل يمكن لاستمرار الهيمنة الأميركيّة أن يكون مربحاً؟<sup>٥</sup> وفي عرض الجواب عن هذين السؤالين العامين، هناك طائفتان من الآراء. في الرأي القائل بالأفول يذهب كل من كينيث

---

1. Internal Factors

٢. كندي، بيدايش وفروپاشي قدرت هاي بزرگ.

3. Alice Amsden

4. Amsden, *The Rise of the Rest: Challenges to the West from Late Industrializing Economies*.

5. Layne, "This Time It Is Real: The End of Unipolarity and the Pax Americana", 204.

والتز، وكريستوفر لاين، إلى الاعتقاد بأن الولايات المتحدة الأمريكية ستجنح بعد الحرب الباردة إلى التوازن، وسوف تزول هيمنة القطب الواحد. وقد كان شعار هذين المفكرين هو أفول مصير الهيمنة، وكلاهما يمثلان في أعمالهما باتحاد هابسبورغ والحروب العالمية من أجل الحيلولة دون ظهور الهيمنتات الإقليمية والعالمية<sup>١</sup>. لقد ذكر كريستوفر لاين في مقالاته التي نشرها في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين للميلاد، في ضوء التحولات السياسية والاقتصادية الراهنة أنه قد حدث منذ الأزمة المالية في عام ٢٠٠٨م أمران هما: أولاً: انتقال الثروة العالمية والسلطة من الغرب إلى الشرق، وثانياً: تراجع التفوق الأمريكي على المستوى الاقتصادي<sup>٢</sup>.

وقد قال ريتشارد ماهر<sup>٣</sup> في استدلال مشابه لما ذهب إليه كريستوفر والتز، بأن انخفاض وتراجع القوة الأمريكية يعود إلى زيادة المسؤولية والتآكل<sup>٤</sup>. وذهب إلى الاعتقاد بأن القوة الفجة<sup>٥</sup> للولايات المتحدة الأمريكية لا تتحول من تلقائها إلى تفوق<sup>٦</sup>. إن صعود القوى الأخرى يتجه بالأوضاع إلى مابعد القطبية الواحدة<sup>٧</sup>،<sup>٨</sup> وهنا يقترح على ساسة البيت الأبيض في مرحلة مابعد الأحادية

1. Waltz, "The Emerging Structure of International Politics"; Layne, "The Unipolar Illusion: Why New Great Powers Will Rise".

2. Layne, "This Time It Is Real: The End of Unipolarity and the Pax American", 203.

3. Richard Maher

4. Murdens

5. Suseceptibilities

6. Raw Power

7. Perefences

8. Post - Unipolar

9. Maher, "The Paradox of American Unipolarity: Why the United States May Be Better

القطبيّة: أن يعملوا على إقامة النظم السياسيّ المستقرّ<sup>١</sup> من خلال التعاطي مع القوى الكبيرة الأخرى، وأن يضعوا قوّة الردع وتوازن القوى<sup>٢</sup> على جدول أعمالهم. ويمكن للمؤسّسات الدولية أن تساهم في تفوقها، وبالتالي الحدّ من تفوّق القوى الإقليميّة من خلال الاستعانة بوسائل التوازن<sup>٣</sup>. وفي الاتجاه الأول الذي تقدم البحث عنه نجد أن أفول القوّة الأميركيّة والتحرّك نحو العالم المتعدد الأقطاب بوصفاته مختلفة طبعًا يمثل المحاور البارزة في هذا الاتجاه.

في الرؤية الثانية هناك تفاؤل باستمرارية الهيمنة الأميركيّة في النظام العالمي. فالمحققون من أمثال وليام وولفورث من الذين لا يزالون متفائلين ببقاء حالة القطبية الواحدة يقولون: إن الولايات الأميركيّة المتّحدة من القوة والعظمة بحيث إن سائر القوى الأخرى لن تجد بُدًا على المدى البعيد من التخلي عن سعيها إلى تحقيق التوازن معها<sup>٤</sup>. وقد صرح في عمل مشترك له مع بوكس بأن الهيمنة الأميركيّة عبارة عن أمر حميد<sup>٥</sup>، وليس هناك مؤشّر على توازن القوى. إن للهيمنة الأميركيّة مصالح اقتصاديّة وأمنية كبيرة بالنسبة إلى حلفاء الولايات المتّحدة<sup>٦</sup>. إذا لم تسع الولايات المتّحدة إلى تهديد الآخرين، فلن يكون هناك احتمال لسعي الآخرين نحو تحقيق التوازن<sup>٧</sup>.

---

Off in a Post-Unipolar World", 55.

1. Stable Political Order

2. Deterrence and Power Balancing

3. Ibid, 67.

4. Wohlforth, "U.S. Strategy in a Unipolar World".

5. Benevolent

6. Brooks and William C. Wohlforth, "American Primacy in Perspective".

7. Brooks and William C. Wohlforth, *World Out of Balance: International Relations and the Challenge of American Primacy*.

وقد ذهب جوزيف صموئيل ناي - في تحليل مختلف - وبيان مؤيد إلى القول بأن بقاء الهيمنة الأميركية رهن بتعزيز قوتها المرنة<sup>١</sup>.<sup>٢</sup> وقد ذهب إلى عدم انتفاء استمرارية واقع الهيمنة.

يُعدّ فريد زكريا من بين المحققين القائلين بالأفول. وهو ضمن التفاته إلى المصادر الداخلية يدعو ساسة البيت الأبيض على الدوام إلى التعاون الاقتصادي والسياسي أحياناً من أجل كبح سائر القوى الموجودة في أميركا اللاتينية، والشرق الأقصى، وآسيا الوسطى بقيادة روسيا.

### القسم الثالث: نقد الكتاب

#### أ. النقد الشكلي

في ما يتعلق بالجامعية الصورية للكتاب هناك العديد من النقاط الإيجابية والسلبية. فهو يفتقر إلى توطئة ومقدمة، ويدخل مباشرة في الفصل الأول من دون التقديم له بمقدمة تمهيدية. كذلك لم يتم تبويب أقسامه على شكل فصول، وإنما يتم ذكر رقم فوق عنوان كل قسم، وهذا يعدّ من النقاط السلبية في عرض الكيفية الفنية لهذا الأثر العلمي. كما أنه لم يتم دعم الكتاب بجداول وصور ونماذج وأشكال توضيحية من أجل البيان الأكمل والتفهم الأسهل، وتمّ وضع عناوين طويلة ومملة. لا نرى في الكتاب خلاصة لفصول أو أسئلة اختبارية أو تعليمية. ولا يشتمل على فصل بالمراجع والمصادر، الأمر الذي يجرم القارئ من فرصة توسيع قراءته ودراساته حول الموضوع المرتبط بالكتاب.

1. Soft Power

2. Nye, *The Paradox of American Power: Why the World's Only Superpower Cannot Go It Alone..*

في المقابل، تعد كتابة الهوامش في امتداد كل قسم من النقاط الإيجابية في الفهرست. لقد تم ذكر الأهداف من وراء تأليف الكتاب في الفصل الأول على شكل أسئلة جوهرية وأساسية. وفي الحقيقة فإن الهدف والغاية من التأليف هو الإجابة عن هذه الأسئلة<sup>١</sup>. يعدّ تقديم المقترحات لوضعي السياسة الخارجية في الولايات المتحدة الأميركية في إطار الموارد الستة، من بين النقاط الإيجابية في قسم تقويم الجامعة الصورية. كما يفتقر الكتاب إلى فصل يرصد الاستنتاجات واستخلاص العبر. وقد أدى ذلك بدوره إلى الإضرار بالفصول المتقدمة منه. وفي ما يتعلق بنقد وتحليل الكيفية الطباعية والفنية يتم البحث في سبعة موارد. في نقد شكل الغلاف وتصميمه يمكن القول إنه إنه أجنبي عن موضوع الكتاب الخاص بتعامل الولايات المتحدة الأميركية مع سائر القوى الصاعدة. كما أن الصورة المبهمة لعدد من الأبنية على ظهر الغلاف والخلفية ذات اللون الأسود بالكامل لا تتناسبان أبداً مع العنوان أيضاً. وتعد كتابة فقرة من نص الكتاب على الغلاف الخلفي من الكتاب من النقاط الإيجابية التي تسجل لتصميم الغلاف. يُعدّ تنضيد الحروف بالالتفات إلى حجم الصفحات أمراً متناسباً، ويحظى بجودة عالية في تنضيد الحروف. إن عرض صفحات الكتاب يحظى ببساطة الكتب الصادرة عن دار نشر هرمس<sup>٢</sup>، وقد تمت مراعاة كتابة الهوامش في كل صفحة. وأما نوع ورق الكتاب وعطفه فهو في غاية الضعف ويفتقر إلى الكيفية اللازمة التي يجب أن يتمتع بها كتاب على مستوى النصّ العلمي المترجم من الطراز العالمي. وفي المجموع فإن الثقل الكمي والكيفي لشكل الكتاب ورعاية النقاط

١. زكريا، جهان پساأمريكايي، ٧.

٢. باللغة الفارسية.

الفنية وتدوين قواعد التأليف يتمتع بكيفية متوسطة، وهو متناسب مع عرضه في أسواق الكتب، والأروقة العلمية، والعلاقات الدولية، والعلوم السياسية.

### ب. النقد المضموني

يتم النقد المضموني في إطار عشرة شواخص. النقد البنيوي في ما يتعلق بارتباط الفصول بعضها ببعض بغية تحقيق الغاية من التأليف. لقد تمّ تدوين الكتاب في سبعة أقسام مستقلة، ويحتوي كل قسم على فصول تتراوح ما بين الخمسة والسبعة. ويعكس ترتيب العناوين من القسم الأول إلى القسم السابع، الخطة والخريطة الذهنية للمؤلف في ما يتعلق بالإجابة عن الأسئلة، وعرض البحث في ما يتعلق بالتحوّلات والمتغيرات الخاصة بعد نهاية مرحلة مابعد الحرب الباردة، والإجابة عن التحديات الماثلة أمام السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأميركية في هذه المرحلة. إنّ العناوين المرصودة في كل قسم هي عناوين مقتضبة وتناسب مع مضمون ومحتوى ذلك القسم. أما سلسلة مراتب وضع العناوين فتبدأ من تبلور التحوّل على الساحة الدولية، وتستمر مع الإشارة إلى ظهور القوى غير الغربية، لتختتم في نهاية المطاف بعزم الولايات المتحدة الأميركية على التعامل والتعاطي المؤثر والبناء مع الوضع القائم.

- القسم الأوّل من الكتاب بعنوان: «نهوض البقية»، ويتعرّض فريد زكريا فيه إلى الخوض في الطرح الأصلي للكتاب في إطار تقديم أسئلة نهائية. وقد اهتم في ختام هذا القسم بذكر ثلاثة أسئلة رئيسة من أجل توجيه دفة الكتاب بشكل عام. وهذه الأسئلة الثلاثة هي:

١. ما هي الفرص والتحديات التي تشتمل عليها التحوّلات [الاقتصادية والسياسية]، وما هي الرسائل التي تحملها للولايات المتحدة الأميركية ومكانتها

## العظمى؟

٢. ما هو شكل المرحلة الجديدة بلحاظ الحرب والسلام الاقتصادي والتجاري والفكري والثقافي؟

٣. ما هو معنى ومفهوم الحياة في عالم خال من الولايات المتحدة الأميركية؟<sup>١</sup> وقد تم تنظيم سائر الأقسام والفصول الأخرى في إطار الإجابة عن الأسئلة المعروضة في هذا القسم.

- القسم الثاني بعنوان «الكأس المترعة»، وهو للإجابة عن التحولات والمتغيرات الراهنة، وتصوير الوضع القائم. تأتي الكأس هنا بوصفها استعارة لفضاء وساحة السياسة العالمية التي تتبلور بشكل رئيس في ضوء تعامل القوى العالمية والإقليمية الكبرى. لقد تمّ في هذا القسم رصد القوى المؤثرة في إتراع كأس السياسة العالمية. ومن بين هذه القوى: «الخطر الإسلامي»، و«التنمية الكبرى»، و«القوى الثلاث: السياسة والاقتصاد والتقنية»، و«المسائل الاجتماعية والبيئة»، و«الانبعاث القومي»<sup>٢</sup>. ومن بين هذه القوى بسبب الرؤية الواقعية لفريد زكريا إلى السياسة الدولية نجد تنمية القوى الشرقية في البعد الاقتصادي أكثر جذباً للانتباه من سائر القوى الأخرى، بحيث تم التركيز على انبعاث هذه القوى الصاعدة، مع تخصيص الحجم الأصلي لسائر فصول الكتاب بهذه القوى.

- القسم الثالث كتب في امتداد القسم السابق بتفصيل أكبر. وهو يعمل على توضيح الأصول العامة والحديثة للنظام اللاغري، ليكون مشتملاً على جانب من الإجابة عن أسئلة القسم الأول. إن العالم غير الغربي يحتوي على أصول وأسس حديثة الظهور، تعكس موت وزوال نظام شبه الهيمنة السابق، حيث تكون هناك

١. م. ن، ٧.

٢. م. ن، ١٠-٥٠.

إمكانية لتحقيق التنمية بالنسبة إلى قوة عظمى وأصل ثابت. ويذهب زكريا إلى الاعتقاد بأن كل واحدة من القوى الصاعدة تسعى حاليًا ضمن الاستفادة من تجارب التنمية الغربية إلى الاهتمام اللازم في الوقت نفسه من النماذج الوطنية والقومية الخاصة بها أيضًا.

إن تحديات الدول الاقتصادية والسياسية الصاعدة من أجل الحصول على حصتها من كعكة السلطة العالمية، وأسواق الاستهلاك، والتنافس الجيوسياسي، يمثل جانبًا آخر من إجابة المؤلف عن خصائص التحوّلات السياسية/ الاقتصادية الراهنة. لقد دخلت الصين والولايات المتحدة الأمريكية أو «التنين والنسر» على حد تعبيره مناهجًا جديدًا من التنافس الاقتصادي والأمني. إن التناقضات الماثلة أمام هذين اللاعبين العالميين تتبلور على شكل التبويات الاقتصادية والأمنية الموجودة، وفي القسم اللاحق يتم رصد النصف الآخر من الكأس، أي حقل المصالح المشتركة والتعاون بين هاتين القوتين العظيمةتين. إن تعزيز نظام المناعة يحول دون انتشار الإرهاب وكبح جماحه، بالإضافة إلى أن التعاون الاقتصادي يمثل قسمًا آخر من بناء أجواء السلام بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية المتحدة. ويرى فريد زكريا في هذا التصوير أن الهند هي اللاعب الأقرب إلى الولايات المتحدة الأمريكية المتحدة من الصين، ويعتبرها نافعة في الحفاظ على الاستقرار السياسي والاقتصادي العالمي، ليواصل دراسته التفصيلية في هذا الشأن<sup>٢</sup>.

لا ريب في أن أن التفوق الأميركي في القرن الحادي والعشرين للميلاد، سيواجه تحديًا أكبر من قبل الخصوم غير الغربيين بالمقارنة مع القرن السابق. وفي حقل السياسة والاقتصاد على الرغم من تفوق الولايات المتحدة الأمريكية

١. م. ن، ٦١-٧٨.

٢. م. ن، ٩٦-١٥٩.

على سائر الخصوم والمنافسين تمكّن خصومها من تقليص المسافة بينهم وبينها، وفي الفصل الأخير، يكتفي فريد زكريا من أجل تكميل مشروعه التحقيقي والإجابة عن السؤال القائل: ما الذي يجب فعله؟ بالاتجاه التعددي والحركة في مسار التعارض والتعاون مع سائر القوى<sup>١</sup>.

إنّ ترابط الفصول والاتجاه العام لمجمل الكتاب من أجل تقديم صورة عن العالم مابعد الحرب الباردة عمل على تظهير عناصر الاقتصاد الرأسمالي، بالإضافة إلى تقديم بعض المقترحات من أجل الحيلولة دون المزيد من الأفول الأميركي في مضمار الاقتصاد والسياسة العالميّة، أضفى على الكتاب نظماً وتسلسلاً منطقيّاً. هناك تناقض في محتوى المنظومة الفكرية لفريد زكريا في بحث تصوير الوضع القائم، وهو تناقض جوهري، وقد تسلسل هذا التناقض إلى مقترحاته التي يقدّمها إلى السياسة الخارجية في الولايات الأميركية المتّحدة، حيث لا يتحقّق التعاون بين الاقتصاد والسياسة على نحو ما كان يصوره دائماً على شكل تعارض وتعاون بين قطبين. وفي الحقيقة، فإن الصورة التي يقدّمها عن تعاطي الاقتصاد السياسي للقوى العظمى والتصوير الثنائي في العلاقات بين القوى الكبرى، مع أصل التضاد الدائم بين مصالح القوى العظمى في ما بينها في النظام الرأسمالي، حيث نشهد أبعاده الأكثر تعقيداً في حروب العملة الصعبة والتوازن التجاري، وتجاهله وغفلته عن سائر اللاعبين العالميين، مثل روسيا في التعامل بين الغرب والشرق، كل ذلك أدى إلى نقاط ضعف وتناقضات قائمة على الإفراط في تبسيط تعقيدات النظام الرأسمالي، والتنافسات الاستراتيجية. إن منطق التصوير والاقتراحات التي يقدمها زكريا لا تنسجم مع المناخ والفضاء المضطرب في

السياسة والاقتصاد العالمي، والصور والمقترحات التي يقدمها شديدة التعميم ومبهما وكاريكاتورية. ومع ذلك فإن منطق تسلسله في مواصلة ومتابعة ذلك الخط الاستدلالي الذي بدأه في مستهلّ الكتاب قد تواصل حتى النهاية من دون أن يواجه أدنى نقص محتمل. وفي معيار تقويم المصادر المعتمدة في الكتاب نجد الواقع العلمي ضعيفاً من هذه الناحية. وفي الفصول السابقة لم يعمد فريد زكريا إلى الاستفادة الكافية والمقنعة من المؤلفين والكتّاب من أمثال: كينيث نيل والتر، ولاين من الذين تناولوا بحث أفول وتوازن القوة الأميركيّة بالنسبة إلى سائر الخصوم. وفي الحقيقة فإن هذا الكتاب يفتقر إلى الإحالات الكافية إلى المصادر النظرية المهمة في حقل العلاقات الدولية في دائرة النظام الدولي في مرحلة ما بعد الحرب الباردة. إن الكاتب بسبب ما يتحلّى به من الأسلوب الصحفي والتقريرى، يغفل عن أهمية الإحالات النظرية، وقد صبّ في قدر الأبحاث النظرية للكتاب مزيداً من الآراء الشخصية.

في قسم الكتب، استفاد فريد زكريا من مصادر كبار المؤلفين في العلاقات الدولية، من أمثال هنتنغتون وفيرغوسن، إلا أنّ عدد هذه الإحالات بالنظر إلى حجم الكتاب قليل جداً. وفي قسم المقالات استفاد كثيراً من أعمال كبار المفكرين من أمثال: منرس وليندز، إلا أنّ هذا القسم بدوره مثل فصول الاستفادة من الكتب، يعاني من نقص وضعف في الاستفادة الكافية من المصادر المعتمدة أيضاً. وفي قسم الإحصاءات نجد الكثير من مدّعياته مفتقرة إلى المصادر المناسبة. من ذلك على سبيل المثال أنه عمداً في الصفحة رقم ١٢١ إلى تقديم بعض الإحصاءات الاقتصادية من دون ذكر مصادرها<sup>١</sup>. إن بعض مدّعيات زكريا تفتقر إلى المصدر وتعوزها الأمانة العلمية في تصنيف النصوص العلميّة والجامعية، ففي بعض

مدعياته التي قدّمها على شكل إحصائيات تجاهل ذكر مصادره ومستنداته في هذا الشأن، من ذلك مثلاً أن المدعيات الإحصائية المذكورة في الصفحة رقم ١٠٠ و١١٣ تفتقر إلى المصادر والإحالات، وعند طبع الكتاب تم إدراج المصادر في نهايته على شكل كل فصل على حدة، ومن هذه الناحية يمكن توجيه نقد آخر في خصوص الإحالات؛ حيث كان من الأفضل أن يؤتى على ذكر مصادر كل فصل في نهايته، أو على شكل هوامش في أسفل كل صفحة، تسهيلاً على القارئ في الوصول السريع إلى مصدر المعلومة. وبسبب الضعف في الإحالة إلى المصادر والافتقار إلى المقترحات المناسبة إلى القارئ في إطار المزيد من البحث، فإن هذا الأثر العلمي قبل أن يحتوي على صبغة علمية وتحقيقية من الطراز العالمي الرفيع، يمكن اعتباره بوصفه مصدرًا مناسبًا للمزيد من التعرّف على آراء المفكرين الأميركيين بشأن تحولات مابعد الحرب الباردة، والاستفادة منه بوصفه نصًّا إعلاميًّا/دعائيًّا.

إن نقطة الاستدلال الأساسية في هذا الكتاب تكمن في تقدّم سائر القوى غير الغربية في البعد الاقتصادي على الولايات المتحدة الأميركية<sup>١</sup>. وقد تمّ إثبات هذا الأمر المهم بواسطة البحث حول المصادر ودوافع هذه القوى والإحصاءات الاقتصادية في العقد الأخير. إن كيفية التحليل بسبب ضعف الاستفادة من المصادر العلمية والتكرار المفرط للأبحاث على شكل إحصائي يشتمل على بعض النواقص ونقاط الضعف. كان من الممكن أن يتم بيان وبحث توجهات السياسة الخارجية الصينية والهندية بتفصيل أكبر بالالتفات إلى التحوّلات التاريخية لهذين البلدين في مرحلة مابعد الحرب الباردة التي أدت إلى نهضتهما. والواقع أن مؤلف الكتاب لم يعمل على نقد آراء الآخرين، وإنما اكتفى بمجرد إثبات مدعياته.

وفي ما يتعلق بمسألة التحقيق، وبسبب إحاطته بالمسائل السياسية العالمية بوصفه صحفياً وكاتب عمود في المجلات والصحف، فإنه يمتلك قدرات علمية ملحوظة تحوّله بيان الفضاء المتبلور حديثاً بشكل دقيق. ولكنه يعاني من نقاط ضعف واضحة وخفية في تقويماته النظرية وبيانه النظري الدقيق لتصوراته في مرحلة ما بعد الحرب الباردة. فزكريا مؤلف يذهب إلى الادعاء بأنه إنما يخوض في مسألة الانبعاث الاقتصادية لسائر القوى في مواجهة الولايات الأمريكية المتحدة فقط، ولكنه في إطار هذا البحث، وبسبب تمسكه وتعلقه بالثقافة والتقاليد الغربية والأميركية، يعمل على نقد وتقويم مواطن ضعف القوى الصاعدة ضمن الأبعاد السياسية والثقافية بالنسبة إلى الحضارة الغربية وبواسطة المعايير الغربية والأميركية. ففي الصفحة رقم ١٥ من الكتاب تم التعريف بالحركات الإسلامية المخالفة للغرب بأنها حصيلة الآراء الفارغة والمتفرقة، ويتم تحليلها خطأ باشتغالها على القوة والانسجام<sup>١</sup>. إن هذه المجموعات من وجهة نظر فريد زكريا لا تمتلك هدفاً واحداً. وفي الصفحة رقم ١٠٤ يذهب إلى الاعتقاد بأن حكّام الصين يخشون من الانتفاضات الداخلية، وهذا التحليل يقوم على المعايير الغربية في فهم الحرية والتفرد في اتخاذ القرار<sup>٢</sup>. هذا في حين أن الصينيين في ثقافتهم الكونفوشيوسية، لا يعرفون الحرية والتعاون الجمعي بشكل مماثل للتعريف الغربي تماماً. إن الاتجاه الدائر مدار الغرب والقائم على قيم الليبرالية الديمقراطية والرأسمالية الغربية في البحث عن تقويم الدول في الاقتدار، وما يطلق عليه فريد زكريا عنوان «الانبعاث»، أمر ملحوظ في جميع استدلالاته. أما

١. م. ن، ١٥.

٢. م. ن، ١٠٤.

القوة الاقتصادية والتنافس السياسي فيمثلان جوهر استقطاب القوة في الغرب ومعايير حُسن أو قبح السياسة الخارجية في إطار حضارة الغرب ومعتقدات التموضع عند فريد زكريا.

إلى ذلك، تعدُّ الإبداعية والمعاصرة من الخصائص التي تحظى بمكانة عالية في تقويم نصوص العلوم السياسيّة والعلاقات الدولية. فعرض انبعاث سائر القدرات غير الغربيّة وتوازن القوة الأميركيّة لا يُعدّان إبداعاً نظرياً وتحليلياً. في الفصول السابقة تحدّثنا عن اتجاهين نظريين في ما يتعلق بالنزعة الواقعية بالنسبة إلى ظهور وسقوط القوى الكبرى؛ ولذلك لا نرى حاجة إلى تكرارها، وينبغي القول إن زكريا لم يقدم نظريّة جديدة في ما يرتبط بالعلاقات الدولية. وعليه يعود امتياز هذا الكتاب على سائر الآثار العلميّة، إلى الأسلوب الممزوج بذكر المصادر والإحصائيات الاقتصادية التي يسوقها المؤلّف، ورؤيته الخاصة بشأن تنوّع مصادر القوة عند القوى العظمى. إن الصراحة المقرونة بالاستفادة المتكررة من الإحصاءات من أجل إثبات مدعيّاته يمثلان نموذجين من الإبداع التآلفي الذي قلّمنا نجده في الآثار الخاصة بالعلاقات الدولية التي يكتفي بعضها بذكر التعميمات والأمور الكليّة. إن بنية البحث لا تحتوي على إبداع، وهو مثل سائر الأعمال الجامعية يشتمل على مدعيّات نظريّة وتحليل وتوظيف بعض المعلومات والمعطيات الانتقائية من أجل إثبات المدعيّات الأولى. بالالتفات إلى استفادة الكاتب من الإحصائيات الاقتصادية في الإطار الأصلي لاستدلّاله، كُنّا نتوقّع أن تكون مصادره الإحصائية من المصادر الأولى لمراكز الإحصاء الوطني والعالمي. ولكننا نجد للأسف الشديد أن المؤلّف قد استند إلى المصادر الإحصائية الموجودة في سائر الكتب بشكل ثانوي والإحالة إلى مؤلّفي الكتب، وليس إلى مراكز

الإحصاء الأصلية الوطنية والعالمية. لقد طبع الكتاب سنة ٢٠٠٨م، وكانت المصادر المعتمدة قد صدرت ما بين عامي ٢٠٠٢-٢٠٠٦ للميلاد، ومن هذه الناحية يكون الكاتب قد سعى إلى الاستفادة من المصادر المعاصرة والحديثة الصدور. وهذا يعد من نقاط قوة هذا الكتاب.

من نافل القول إن الفرضيتين اللتين يروم الكاتب تناولهما على التوالي هما: تفوق الاقتصاد وعناصر الرأسمالية على القوة العسكرية في انبعاث سائر القوى الأخرى والتبادل في بنية القوة العالمية في العقود القادمة. إن كلتا هاتين الفرضيتين قد تمّ ذكرهما في بداية الكتاب بشكل غير مباشر<sup>١</sup>. وفي القسم الثاني عمد فريد زكريا من خلال الاستفادة من استعارة الكأس المترعة إلى إبراز العناصر الاقتصادية في بلورة التحوّلات الموجودة لا في هذا القسم فقط، بل وفي سائر الأقسام الأخرى، من خلال ذكر أمثلة على فرضياته من القدرات البنيوية الاقتصادية للصين والهند. ونشير إلى أن جميع مواضع القسم الثاني من الكتاب زاخرة بالإحصاءات حول النمو الاقتصادي في الهند والصين<sup>٢</sup>.

لقد تمّ خفض التعاطي بين السياسة والدين في هذا الكتاب إلى الحدّ الأدنى، وتمّ رصد الدين في إطار الثقافة بوصفه أداة في خدمة الاقتصاد والقدرات المادية، والواقع أن هذا النوع من الرؤية منبثق عن الثقافة العلمية العلمانية الغربية التي ترى كل شيء بوصفه وسيلة وأداة للهيمنة والسيطرة الدنيوية. في الفرضيات النظرية للمؤلف نجد بعض العناصر التحليلية من قبيل الهيمنة والسيطرة المادية بوصفها أمرًا جيّدًا ومطلوبًا، وأن النمو الاقتصادي والسياسي بوصفه

١. زكريا، جهان پساأمريكايي، ٧٣.

٢. م. ن، ١٢-٥٥.

غاية للأهداف البشرية، في حين أن هذه الموارد تتعارض مع الأصول الدينية والإسلامية التي تعتبر أن غاية الأهداف الإنسانية تكمن في السعادة الأخروية، وتعطي الدور المحوري للمفاهيم الأخلاقية.

إن الأدوات التي تمت الاستفادة منها لإيصال وبيان الأهداف المنشودة للمؤلف، عبارة عن: الكتب والمقالات والتقارير التي قام بتوظيفها بشكل انتقائي. والانتقادات التي تم إيرادها على المصادر التي اعتمدها ذكرت في قسم نقد المصادر، النقد الآخر هو أنه قد تم تجاهل وتناسي الصور والخرائط والجداول الإحصائية والتفصيلية، رغم اهتمام الكاتب بالجانب الكمي من أبحاثه، فنحن لا نجد في أي صفحة أثرًا لجدول بياني وإبداع تصويري أو نموذج توضيحي، وهذا يعدّ واحدًا من نقاط الضعف الرئيسة في توظيف الأدوات والوسائل العلمية الضرورية. لقد عمد فريد زكريا من أجل البيان الأدق للمسائل مورد البحث في الكتاب إلى الاستفادة من المصطلحات والإبداعات المفهومية لسائر المحققين. إن مصطلح «العالم الحديث» في إطار الفهم الدقيق لرؤية المهاجرين إلى أميركا الشمالية، وبلورته في القسم الثالث، ومصطلح «المجتمع المنسجم» لوصف الروابط الداخلية المختلفة في الصين، ودورها العالمي في النظام الدولي، من بين المفاهيم المستعارة من قبل فريد زكريا. لقد قام بإبداع مفهومي، إنه مفهوم «انبعاثة الآخرين»، الذي يعدّ متناسبًا مع ما يسعى إلى بيانه من أجل تقديم صورة أدق عن التماهيات المغيرة لبنية النظام الدولي المفهومي. أما مفهوم «الواسطة الأمينة» الوارد في الصفحة رقم ٢٤١ من الكتاب، فهو مفهوم أبدعه فريد زكريا، ويمثل جوابًا عن الغموض الذي تم اقتراحه في الدور الجديد لأميركا

في عالم مابعد الولايات المتحدة الأمريكية.

في ما يتعلق بحاجة المجتمع الإيراني/ الإسلامي بسبب وجود المباني المادية والليبرالية الحاكمة على الكتاب ضمن افتقاره إلى نظرية جديدة في العلاقات الدولية تتمتع بالحد الأدنى من تلبية الحاجات النظرية والعلمية للمجتمع البحثي والتحقيقي الإيراني، نرى أن تقديم صورة عن النظام الدولي من زاوية مفكر جامعي أمريكي ونقده لهذه الصورة من شأنه أن يكون من أهم نقاط قوة كتاب فريد زكريا للمحققين والجامعيين الإيرانيين.

يمكن لهذا الكتاب أن يعمل على توظيف هذا الإدراك من زاوية رؤية مفكر أمريكي قائم على كيفية رؤيتهم للعالم على المستوى النظري والتحليلي. إلا أن المباني المنشودة لزكريا تتعارض بشكل جاد مع الأهداف الثورية والإسلامية للقائمين على تأسيس النظام التعليمي في قطرنا. ومن هنا فإن الاستفادة من هذا المصدر يجب أن تكون مقرونة بالاحتياط النظري، وبالنظر إلى المباني الإسلامية. في تقديم خلاصة عن هذا القسم، نرى أن هذا الكتاب يتمتع بمستوى كافي جيد للعرض في مكتبتنا من أجل رفع مستوى المعرفة النظرية والمهارات التحليلية للطلاب في حقل العلاقات الدولية والعلوم السياسية. بغض النظر عن نقاط ضعف الكتاب في مختلف الأبعاد التي تمّ بيانها في السطور المتقدمة بشكل تفصيلي، إلا أنه يشتمل على قيمة كبيرة في ما يتعلق بالتعرّف على مسائل عالم مابعد الحرب الباردة والتحويلات الاقتصادية المتسارعة.

### ج. النقد والتحليل الأسلوبي

توجد في العلوم الإنسانية وفي العلوم السياسية على وجه التحديد ثلاثة أنواع من العلوم، هي:

١. العلم الأميركي والتكنولوجي الناظر إلى السيطرة الذرائعية على المحيط.  
٢. العلم التأويلي أو التفسير التاريخي والثقافي المرتبط بالحاجة إلى الفهم والتعاون الموضوعي المتبادل.

٣. التحليل الديالكتيكي / الانتقادي المرتبط بالرغبة إلى التحرر والخلاص.  
في النوع الثالث من العلوم الناظر إلى الخلاص<sup>١</sup> ذهب المؤلف إلى اعتباره من علوم النوع الأول، ويعدّ فريد زكريا من النخب الذرائعية في المجتمع الجامعي والإعلامي في الولايات المتحدة الأميركية، وهو مثل الكثير من النخب المؤثرة في السياسة الخارجية الأميركية، من أمثال: هنتنغتون، وجورج كينان، وجوزيف صموئيل ناي، وكينيث نيل والتر، فهو يحمل هاجس أفول الولايات المتحدة الأميركية، والتحديات الماثلة أمام السياسة الخارجية لهذا البلد، وأخذ ذلك ذبوصه هاجسًا دائمًا. نقطة تركيز زكريا تتمثل في بقاء سلطة الولايات المتحدة الأميركية على مستوى العالم، والتقليل من احتمالات أفولها، ولتحقيق هذا الأمر المهم عمل في البداية عبر الاستفادة من الأسلوب التحقيقي التركيبي الشامل للأسلوب الكمي والتفسيري على تقديم صورة عن الوضع القائم، ثم عمد بعد ذلك إلى الاستفادة من الاتجاه القياسي والاستقرائي بشكل منفصل في مختلف أقسام الكتاب ضمن إثبات مدعياته، وتقديمها كوصفة في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأميركية للنخب من صنّاع القرار الأميركي. إن مبادرته إلى توظيف مختلف الأساليب يعتبر من بين نقاط قوة كتابه. فالاستقراء أسلوب يعمل على توظيفه من خلال تقديم الإحصاءات الكمية والاستنتاج منها من أجل تشكيل صور مختلفة من مراحل ما قبل الحرب الباردة في أكثر سطور

١. منوچھري وآخرون، رھيافت وروش در علوم سياسي، ٢٧.

الكتاب، وبشكل خاص في القسم الثاني والقسم الثالث<sup>١</sup>. والقياس أسلوب آخر يعمل على توظيفه في إطار المقارنة بين واقع الأمبراطورية الأميركية ووضع الأمبراطورية البريطانية، وتشابههما في الحروب العسكرية مع القوى الصغيرة التي أدت إلى أفولهما<sup>٢</sup>.

حريُّ القول إن هذه الجهود التي قام بها فريد زكريا واجهت نقداً جاداً من قبل امتياز باهاتي. فهو يذهب ضمن إشارته إلى اضطراب الأسلوب المعرفي والصور الناقصة والغامضة التي يقدمها عن بنية النظام العالمي إلى الاعتقاد بأن زكريا قد أخفق في عرض صورة دقيقة عن مسائل السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأميركية في ما يتعلق بالتورط الأميركي في العراق، حيث لا نجد لديه ما يقوله في هذا الشأن. ثم يواصل باهاتي نقده من خلال الإشارة إلى الأحداث التاريخية في الكتاب، ويقول: إنه لم يقدم بحثاً بشأن الأخطاء الأميركية السابقة، وإن الحلول التي يقدمها إلى السياسة الخارجية لدولة عظمى على مستوى الولايات الأميركية المتحدة في طريقها إلى الأفول، لا تحظى بضمانة تنفيذية<sup>٣</sup>.

في النتيجة: لقد كان فريد زكريا في كتابه «عالم مابعد أميركا»، يسعى إلى تقديم صورة سياسية/ اقتصادية عن تحولات مابعد الحرب الباردة، ليعمل في ظل ذلك ضمن بيان الوضع القائم على تقديم مقترحات تطبيقية ومقارنة إلى النخب العاملة في حقل السياسة الخارجية للولايات الأميركية المتحدة. إن ظهور القوى الشرقية في الصين والهند على مستوى الاقتصاد العالمي، وكذلك البرازيل في أميركا اللاتينية، قد أدى إلى تغيير بنية القوى الدولية. لقد تمكنت الصين من

١. زكريا، جهان پساآمریکایی، ٢٣-٧٥.

٢. م. ن، ١٧٧-١٨٠.

3. Bahatti, "The Post-American World (Book Review)", 117-121.

خلال هدايتها الحكومية للاقتصاد الداخلي، وسيطرة الحزب الشيوعي على التنمية الاقتصادية المتوالية على مدى العقود الأخيرة من خطف قصب السبق من الكثير من الخصوم الشرقيين، وهي بالإضافة إلى ذلك تسعى إلى التنافس مع الغرب والولايات المتحدة الأميركية. وإلى جانب الصين، اهتمت الهند من خلال قطاعها الخاص الفعال والمقتدر بالإضافة إلى توظيفها للتقليد والتراث العملائي الهندي في السياسة الخارجية مثل الصين بالتنمية والازدهار على مستوى النظام العالمي. في هذا السياق، يرى فريد زكريا أنّ طريقة الحلّ في مواجهة الظروف والشرائط المعقّدة القائمة، تكمن في التعددية والوساطة الأميركية في الأزمات الإقليمية والدولية المهمة، في إطار الحيلولة دون المزيد من الأفول الأميركي. وهو يذهب في السطور الأخيرة من هذا المقال إلى الاعتقاد بأن الكتب والمصادر العلمية المكتوبة في ما يتعلق بالسياسة الخارجية للولايات المتحدة الأميركية من أجل تأمين علم العلاقات الدولية نافعة وبناءة في داخل القطر؛ وذلك أولاً: لأن قراءة هذا النوع من الكتب إذ يرفع من مستوى المعلومات والقابليات التحليلية لدى الباحثين في الداخل، يعد تدريباً وتمريناً جيداً على مزاولة التنظير والتأليف في حقل العلاقات الدولية، في ضوء الاستفادة من مباني وأسس الثورة الإسلامية. وهو ما نجح زكريا في القيام به من خلال الاستفادة من العلم الغربي العلماني في كتابه الراهن والسابق، وثانياً: لأن نقد هذا النوع من الكتب في ظل الاستفادة من أصول التفكير الإسلامي والثوري يساعد على تدقيق وصقل المباني النظرية لعلم العلاقات الدولية الإيرانية/ الإسلامية.

## المصادر

١. زكريا، فريد، جهان پساأمريكايي (العالم مابعد الولايات المتحدة الأميركية)، الترجمة: أحمد عزيزي، ط ٢، طهران، نشر هرمس، ١٣٩٣ هـ.ش.
٢. كندي، پل، پيدائش و فروپاشي قدرت هاي بزرگ (نشوء وسقوط القوى العظمى)، الترجمة: عبد الرضا غفراني، طهران، انتشارات اطلاعات، ١٣٧٠ هـ.ش.
٣. مشيرزاده، حمير، تحول در نظريه هاي روابط بين الملل (التحول في النظريات الخاصة بالعلاقات الدولية)، ط ٧، طهران، نشر سمت، ١٣٩١ هـ.ش.
٤. منوچهري، عباس وآخرون، رهيافت وروش در علوم سياسي (المدخل والأسلوب في العلوم السياسية)، طهران، سمت، ١٣٨٧ هـ.ش.

5. Amsden, Alice, *The Rise of the Rest: Challenges to the West from Late Industrializing Economies*, Oxford: Oxford University Press, 2001.
6. Bahatti, Imtiaz, "The Post-American World (Book Review)", *Policy Perspectives* 16, Spring 2009.
7. Barlow, Jeffrey, "The Post-American World (Review)", *The Journal of Education Community and Values* 8, 2009.
8. Brooks, Stephen G., and William C. Wohlforth, "American Primacy in Perspective", *Foreign Affairs* 81(4), 2002.
9. \_\_\_\_\_, *World Out of Balance: International Relations and the Challenge of American Primacy*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 2008.
10. Layne, Christopher, "The Unipolar Illusion: Why New Great Powers Will Rise", *International Security* 17(4), 1993.
11. \_\_\_\_\_, "This Time It Is Real: The End of Unipolarity and the Pax Americana", *International Studies Quarterly* 56, 2012.

12. Legro, Jeffrey W., and Andrew Moravcsik, "Is Anybody Still a Realist?", *International Security* 24(2), 1999.
13. Maher, Richard, "The Paradox of American Unipolarity: Why the United States May Be Better Off in a Post-Unipolar World", *Orbis*, 2011.
14. Nye, Joseph S., *The Paradox of American Power: Why the World's Only Superpower Cannot Go It Alone*, New York: Oxford University Press, 2002.
15. Waltz, Kenneth N., "The Emerging Structure of International Politics", *International Security* 18(2), 1993.
16. Wohlforth, William C., "The Stability of a Unipolar World", *International Security* 24(1), 1999.
17. ———, "U.S. Strategy in a Unipolar World", in *America Unrivaled*, Cornell University Press, 2002.
18. Zakaria, Fareed, "How to Restore the American Dream", 2010, <http://fareedzakaria.com/2010/10/21>.

